

المبحث الأول :

تكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين)

المبحث الأول

تكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين)

عندما باءت الجهود العسكرية التي شنتها الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق بالفشل في تحقيق أهم أهدافها، ولم تستطع الولايات المتحدة الانتهاء منهما والخروج لشن حروب جديدة في غيرهما، بدأت تظهر الدعوة إلى (حرب أفكار)، وتكوين رعاة يتبنون نشرها بين المسلمين في جميع العالم الإسلامي، ويكونون من بني جلدتهم، ممن تتوافر فيهم صفات التحرر، والعلمنة، أو ضعف التمسك بأحكام الشريعة الإسلامية، أو الانحراف الفكري في تصورهما والاستدلال عليها، وهم من تطلق عليهم (راند) وصف (المعتدلين).

فصار تكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين) الآن أهم الوسائل وأخطرها للغزو الثقافي والتغريب في العالم الإسلامي، بل هو الوعاء الذي يحوي جملة الأساليب والوسائل والأعمال لتحقيق الغزو والتغريب.

ومن أهداف تكوين هذه الشبكات: مواجهة الإسلام بتطبيقه الصحيح، القائم على الكتاب والسنة، والملتزم بهما. وهو الذي تصفه (راند) -باطلاً وتضليلاً- في جميع النقولات عنها في هذا المبحث بالتطرف.

إن «الصراع بين الصحيح والمحرّف من العقائد هو جوهر (حرب الأفكار) الراهنة، والإسلام (غير المحرّف) يمثله في أنصع صورةٍ منهج أهل السنة والجماعة. ولذا؛ فإن حملة هذا المنهج هم المستهدفون الأوائل في حرب الأفكار؛ مرة باسم الأصوليين، ومرة باسم السلفيين، ومرة ثالثة باسم الوهابيين. ولهذا نجد تقارير (معهد راند) وغيرها تصب في اتجاه تجييش العالم بكُفاره ومنافقيه ومرتديه ومبتدعيه ضد أنصار هذا المنهج؛ الذي تمثل ثوابته الدين الصحيح»^(١).

(١) معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، د.عبد العزيز مصطفى كامل، سلسلة كتاب البيان (د.ر)، (الرياض، مجلة البيان، د.ت)، ص ٢١٨-٢١٩.

ويتضمن هذا المبحث خمسة مطالب: تستعرض الدعوة إلى تكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين)؛ وتبين أهداف تكوين الشبكات، والمهام المنوطة بها؛ وتعرّف بـ(المعتدلين)، والشروط المطلوبة فيهم، وأنواع دعمهم، ومستويات العمل على تكوين شبكاتهم؛ وتستنبط مصدر الدعوة إلى تكوين الشبكات، والعلاقة بالحرب الباردة؛ وتقترح سبل العمل في مواجهة الشبكات.

المطلب الأول: الدعوة إلى تكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين):

ظهرت الدعوة إلى تكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين) بصورة متكاملة في تقرير (بناء شبكات من المسلمين المعتدلين)، المنشور عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ويستلهم مشروع تكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين) فاعليته من نجاح الولايات المتحدة وبريطانيا في تكوين الشبكات خلال الحرب الباردة؛ حيث تُقدم التجربة السابقة عددًا من الدروس المهمة لصراع اليوم مع الإسلام^(١). وقد فهمت الولايات المتحدة في بداية الحرب الباردة أن بناء الشبكات جزء عام من استراتيجيتها الكلية، فخصصت موارد كبيرة لتمويلها^(٢). ويلوم تقرير (بناء شبكات) سياسة الولايات المتحدة الكبرى في الحرب العالمية ضد (الإرهاب)، بأن استراتيجيتها لا ترتبط مباشرة بالجهود المتناثرة التي تدعمها الولايات المتحدة في تكوين شبكات ومؤسسات إسلامية (معتدلة)، والأهم من ذلك أن الموارد المخصصة لتكوين الشبكات تقل كثيرًا عن الموارد التي تم إنفاقها على المناشط العسكرية والدبلوماسية العامة، فإذا كانت الولايات المتحدة تسعى بصدق للتأثير على نتائج حرب الأفكار المشتعلة في العالم الإسلامي، فهي تحتاج إلى أن تلتزم - كما فعلت في الحرب الباردة - بدعم حلفائها الطبيعيين وتنظيمهم^(٣).

يدعو التقرير إلى أن تتخذ الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها «قرارًا بإنشاء شبكات من (المعتدلين)، وكذلك عمل علاقة صريحة بين هذا الهدف واستراتيجية الولايات المتحدة وبرامجها بالكامل»^(٤).

ويؤكد التقرير على أن «التطبيق الفعال لهذه الاستراتيجية يتطلب إنشاء هيكل تأسيسي داخل الإدارة الأمريكية لتوجيه هذا الجهد ودعمه وإدارته»^(٥). بمعنى إنشاء إدارة أو جهاز تكون

(١) ويضيف المرجع إلى (الإسلام) كعادة (راند) المطردة نعت (المتطرف).

(٢) ينظر: Building Moderate Muslim Networks. P. 139

(٣) المرجع السابق.

(٤) تكوين شبكات من المسلمين المعتدلين (الملخص)، ص ٩.

(٥) المرجع السابق.

مهمته تكوين الشبكات، ودعمها، ووضع برنامج عمل لها، وتوجيهها، وتنميتها، ومتابعة أعمالها وخططها، ومن ذلك إنشاء قاعدة بيانات دولية عن الشركاء في هذه الشبكة، من أفراد، وجماعات، ومؤسسات، وهيئات، وأحزاب، وغيرها^(١).

ومعنى ذلك أن التقرير يدعو إلى نقل أساليب الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي واستخدامها في مواجهة العالم الإسلامي؛ مما يعني أن حرب الولايات المتحدة مع العالم الإسلامي ستكون حربًا طويلة الأمد، وغير محصورة في بلد، وستستخدم فيها أساليب ووسائل متنوعة متعددة.

وقد أشار إلى هذا وزير الدفاع الأمريكي عند بداية الغزو الأمريكي لأفغانستان، حيث أخبر المراسلين بأن «هذه الضربات جزء من مسعى أكبر بكثير ضد (الإرهاب العالمي)، جزء سيستمر وسيكون واسع النطاق، جزء سيستمر لسنوات وليس لأسابيع أو شهور. هذه الحملة ستشن بشكل يشبه كثيرًا الحرب الباردة... سنستخدم... كل... مورد تحت إمرتنا»^(٢).

وللإقناع في نقل أساليب الحرب الباردة عقد التقرير الفصل الثاني بعنوان: (دروس الحرب الباردة)، يبين فيه كيف تحولت المواجهة مع الاتحاد السوفيتي والكتلة الشيوعية من مواجهة عسكرية إلى مواجهة فكرية بالدرجة الأولى، وكيف تحقق الانتصار الفكري خلالها، والوسائل والأساليب التي استخدمت، وجهود الولايات المتحدة الأمريكية في إيجاد شبكات معادية للشيوعية^(٣). كما عقد الفصل الثالث بعنوان: (أوجه الشبه بين الحرب الباردة والتحديات التي تواجه العالم الإسلامي اليوم)، وحدد الفصل ثلاثة أوجه للشبه^(٤):

١- أن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه بيئة سياسية جغرافية تُكوّن خطرًا على أمنها، وتمثل في الجانب الإسلامي في الحركات الجهادية.

(١) ينظر: المرجع نفسه؛ وأصله: P. 141-142 Building Moderate Muslim Networks.

(٢) Three Years After. P. 53

(٣) Building Moderate Muslim Networks. P. 7-34

(٤) المرجع السابق: P. 35-36

٢- أن الولايات المتحدة الأمريكية أنشأت أجهزة إدارية كبيرة لمواجهة العالم الإسلامي، كما أنشأتها في بداية الحرب الباردة.

٣- كما كان الصراع الفكري هو طبيعة الحرب الباردة، فإنه في مواجهة العالم الإسلامي كذلك بالدرجة الأولى، وليس عسكرياً أو غيره.

وعقدت (راند) - قبل صدور تقرير (بناء شبكات) - لقاءً عام ١٤٢٦ هـ، ضم خبراء دين ومحللي استخبارات أمريكيين، جاء فيه الدعوة إلى أن يكون التعامل مع العالم الإسلامي من خلال حرب باردة، والحفاظ عليها من أن تصبح حامية^(١)، وأنه ينبغي ألا يطمح الجيش الأمريكي إلى تدمير خصمه ولا على المدى البعيد^(٢). ويلاحظ أن هذه الدعوة جاءت إثر تأكيد فشل المشروع العسكري في أفغانستان والعراق؛ فكانت الدعوة إلى استخدام الأسلحة غير العسكرية.

فعندما تعلن الولايات المتحدة الانسحاب من العراق أو أفغانستان فإنها تعلن في الوقت نفسه أو تؤكد أنها بدأت حرباً باردة جديدة في البلدين وفي العالم الإسلامي، بعد أن طوّتها مع الاتحاد السوفييتي، أو قللت من العناية بها في البلدان المتحولة عن الشيوعية. على أن الانسحاب العسكري قد لا يكون حقيقياً في بعض البلدان، بل هو - كما جاء في مجلة (راند) - «التأكيد على نوع مختلف من وجودها العسكري في المناطق الحساسة، والحد من الرؤية لأمريكا بأنها "قوة احتلال"، وزيادة قدراتها في مجالات مثل الشؤون المدنية»^(٣).

وإذا كان أحد خبراء العسكرية - خارج (راند) - يصف الحرب الحامية بأنها «استمرار

(١) يقابل الحرب الباردة: الحرب الحامية. ويطلق عليها بعضهم: الساخنة، ويطلق عليها الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله (الكاوية). وقد آثرت استخدام (الحامية) استئناساً بقول النبي ﷺ: «(حَمِي الْوَطِيسُ)»، قال النووي: «ويضرب مثلاً لشدة الحرب». مسلم ١٣٩٩/٣، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ح ١٧٧٥؛ والمنهاج، ص ١٣٧٤؛ وللحق والحقيقة من كلام خير الخليفة، ص ٤٣.

(٢) Exploring Religious Conflict, (conference proceedings), Gregory F. Treverton & Others, (Santa Monica, Rand, 2005). P. 48.

(٣) RAND Review, Vol. 29, No. 1, Spring 2005. P. 4

للسياسة بوسائل أخرى»^(١). فإن السياسة الأمريكية غير العسكرية حاليًا امتداد للحرب ضد العالم الإسلامي بأجمعه بوسائل أخرى. وقد لقيت الحماية دفاعًا على ضعف، والباردة لم تلق دفاعًا فيما يظهر حتى الآن، بل إنها قد حصدت ثمارها في عدد من البلدان تبعًا.

وهكذا يحاول الغرب بقيادة الولايات المتحدة ستر عداوته والعمل على غزو المسلمين في السر، بعد فشله في العداوة العلنية في أفغانستان والعراق، بل أصبح يخطب ود الشعوب الإسلامية ويتعاطف معها ضد حكوماتها؛ للوصول إلى غاياته وتحقيق مآربه. جاء في دراسة (راند) (الحرب بوسائل أخرى) - المنشورة عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م -: «يشير التحليل إلى وجود هدف جماعي جديد للولايات المتحدة وحلفائها: أمن على أساس وجود علاقة أكثر شمولاً بين السكان المسلمين والغرب، وليس عن طريق شن حملات عسكرية ضد إمدادات لا نهاية لها من الجهاديين الشباب الساخطين، ولكن عن طريق نزع سلاح الإحساس بالاستبعاد والعداء، وجلب النجاح للسكان المسلمين»^(٢).

ومن المعروف أن المؤسسة السياسية الأمريكية بعامة تساند أفكار مؤسسة (راند)، كما أن المراكز الفكرية اليمينية في الولايات المتحدة تساند مشروع (تكوين الشبكات)، وتدعو لأفكار مشابهة له؛ مما يُكوّن ضغطاً كبيراً في اتجاه اعتماد أفكار المشروع بجعله سياسة أمريكية للمرحلة التالية للتقرير، ويجعل المشروع ذا قيمة استراتيجية مهمة^(٣).

بل من يتابع الوقائع اليوم يعلم أن خطة (راند) يجري تنفيذها بخدافيرها، أو بتعديل يزيد من ضراوتها، تستهدف قلب عالمنا الإسلامي مثلما تستهدف أطرافه.

وهاجس الحرب الباردة مع العالم الإسلامي كان موجوداً لدى بعض الباحثين الغربيين منذ سقوط الاتحاد السوفييتي، يقول (ليون هادر) عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م: «هناك من يُلقي في روع

(١) الوجيز في الحرب، ص ٨٩. ومؤلفه (كارل فون كلاوزفيتز) أحد كبار العسكريين الألمان.

(٢) War by Other Means. P. 363 ؛ نقلاً عن:

Mackinlay and al-Baddawy, Rethinking Counterinsurgency. P. 177.

(٣) استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام، ص ٤٧.

إدارة (كلينتون)^(١) على أن الإسلام هو التهديد الجديد بعد سقوط الشيوعية، وقد تميزت سياسة أمريكا الخارجية لأكثر من أربعة عقود بالعداء للسوفييات، ويمكن أن يشغل الخوف من الإسلام (واشنطن) لتدخل في حرب باردة جديدة^(٢) ١.هـ.

نعم، لقد دخلت في حربين وليست حرباً واحدة: حرب مستعرة حامية في جزء من العالم الإسلامي، وحرب باردة تخوض غمارها الآن ومنذ سنوات في جميع بلدانه.

ويقول (فولر، وليستر)، في كتابيهما المنشور عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م: «تحتل العلاقة بين الإسلام والغرب الآن مركز الصدارة في نقاش ما بعد الحرب الباردة على الاتجاه المستقبلي للشؤون الدولية»^(٣). ثم يقولان: «الاهتمام الجديد للعلاقات بين الإسلام والغرب بعد نهاية التنافس بين الشرق والغرب أوحى لكثير من المراقبين بإمكانية نشوب حرب باردة جديدة على أسس طائفية»^(٤).

ويقولان أيضاً: «في رأينا أن الصراع الأساس ليس بين الإسلام وغير الإسلام، ولكن بين أفكار وحركات، وأفكار وحركات مضادة داخل الثقافة الإسلامية ذاتها»^(٥).

إن هذه الدعوة في التحول من الحرب الحامية إلى حرب باردة، تماثل ما فعله الاستعمار الأوروبي عند انسحابه من الدول الإسلامية، فإنَّ «حققد (أوروبا) على الإسلام وأتباعه لم ينقص إن لم يكن قد زاد بقدر ما يلقي الاستعمار في الدنيا من كفاح ومقاومة.

وكل ما حدث أن أوروبا اصطنعت أساليب جديدة لحو الإسلام من داره، واستئصاله - كما تزعم - من جذوره.

(١) الرئيس الثاني والأربعون للولايات المتحدة.

(٢) بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، ص ١١٨. نقلاً عن:

"What Green peril", Leon T. Hadar, in Foreign Affairs, Spring 1993, P. 27-42.

(٣) A Sense of Siege. P. 13

(٤) المرجع السابق: P. 18

(٥) المرجع نفسه: P. 165

وهي لم تفتح المجال الدولي أمام العرب وسائر المسلمين إلا بعد ما اطمأنت أن هؤلاء وأولئك قد استدرجوا للانسلاخ عن دينهم والتخلي عن حضارتهم، والبراءة من ماضيهم. وأنها قد طبخت الأمور في الداخل والخارج ، وهيأت من وسائل اللطف والعنف واللذة والألم ما يجعل المسلمين صائرين - حتمًا - إلى ما رسمه الغرب لهم ^(١). ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ ^(٢).

«وعملية التحدي الحضاري مستمرة، ويجب أن تستمر، في ظل هذه العقلية العنصرية التي ما زالت تتقمص عقلية القرون الوسطى ^(٣)، وتقاتل وتستقتل في سبيل هدفها. وإن لم يدرك العرب والمسلمون هذه الحقيقة فمستقبل الأمة ومصيرها على المحك» ^(٤).

«وكأن التاريخ الآن يُعاد نفسه، فالحرب الآن بين الإسلام والتيارات المناوئة له حرب أفكار، والمعركة معركة فكرية، ولهذه المعركة أدواتها التي يجب التسليح بها، فالخسران في هذه المعركة أشد وطأة وأقوى تأثيرًا وأعظم فتكًا من خسارة أية معركة حربية أيًا كان حجمها» ^(٥).

وقد لا يكون المرء مجانبًا للصواب إذا قال: إننا إذا لم نتصد لهذه الحرب بكل قوة، فسوف نتعرض للانسلاخ والذوبان لا محالة ^(٦).

(١) كفاح دين، ص ١١٩.

(٢) سورة البروج، الآية: ٢٠.

(٣) القرون الوسطى: الفترة الزمنية ما بين سقوط الدولة الرومانية عام ٤٧٦م، إلى سقوط القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م. معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٤٣٧/٣.

(٤) الإسلام والاستشراق، ص ٢٨٢.

(٥) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٣٠.

(٦) ينظر: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، د. أحمد عبد الرحيم السايح، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٧ هـ)، ص ٦١. وكلامه في شأن الاستشراق بعامة وليس في هذا الموضوع.

المطلب الثاني : أهداف تكوين الشبكات، والمهام المنوطة بها:

يشرع تقرير (بناء شبكات) في مقدمته بذكر السبب الرئيس الذي يُعوّل عليه في تكوين الشبكات، وهو: مواجهة الإسلام (المتطرف)؛ حيث ازدادت في كثير من المجتمعات الإسلامية في السنوات الأخيرة التفسيرات (المتطرفة والمتشددة) للإسلام، لأسباب عديدة، كان من أبرزها: تفرد المسجد في نقد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في ظل أنظمة الحكم السيئة، وغياب مؤسسات المجتمع المدني^{(١)(٢)}.

ومقصودهم بالتطرف هنا -وأينما ورد في هذا المبحث- : التطبيق الصحيح للإسلام، القائم على الكتاب والسنة، والملتزم بهما.

وتقول دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١): «المسلمون (المعتدلون) وحدهم -في الواقع- لديهم القدرة على مقاومة تأثير (المتطرفين)، مادام أن قوى غير المسلمين، أو القوى العلمانية مثل الولايات المتحدة لا تملك مصداقية كافية لدى المسلمين»^(٣).

«ولن يكون (المعتدلون) قادرين على مواجهة (المتطرفين) بشكل ناجح حتى يتم تمهيد ساحة المنافسة، التي يستطيع الغرب أن يحققها عن طريق تشجيع إنشاء شبكات من المسلمين المعتدلين»^(٤).

(١) Building Moderate Muslim Networks. P. 1

(٢) "المجتمع المدني هو الذي يضع قوانينه وتشريعاته بنفسه، لا سلطة لأحد عليه في ذلك، لا لدين، ولا قبيلة، ولا مذهب، ولا طائفة... ويشمل المجتمع المدني العديد من المكونات، من بينها: المؤسسات الإنتاجية، والاتحادات المهنية، والنقابات، والأحزاب السياسية، والنوادي الثقافية والاجتماعية... تتمتع مؤسسات المجتمع من حيث المبدأ باستقلالية نسبية من النواحي المالية والإدارية والتنظيمية عن الدولة... المجتمع المدني لا بد من قيامه على قيم الحضارة الغربية، مثل: الديمقراطية، وحقوق الإنسان والمرأة، والحرية الفردية، بالمفهوم الغربي". ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، د. سعود بن سعد العتيبي، (جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٠هـ)، ص ٦٦٧-٦٦٩؛ وينظر: الدولة المدنية: مفاهيم وأحكام، أبو فهر السلفي، (القاهرة، دار عالم النواذر، ١٤٣٢هـ)، ص ٣٠-١٢٥.

(٣) The Muslim World after 9/11. P. 409

(٤) Building Moderate Muslim Networks. P. 3

وينقل تقرير (بناء شبكات) قول خبير أمريكي لا يتبع (راند): «إن الطريقة المناسبة هي بناء منبر دولي للمسلمين المعارضين للمبادئ الإسلامية، على غرار المنظمات المعارضة للشيوعية التي تم تأسيسها في أوروبا الغربية أثناء الحرب الباردة»^(١).

إذن، الأصل أن ما يراد من هؤلاء عمله كان ينبغي أن تقوم به الولايات المتحدة وحلفاؤها من الغرب، ولكن لما فشلت هي وحلفاؤها في تحقيق أهم أهدافهم، وظهر هذا الفشل في أفغانستان والعراق، عادت الدعوة إلى استخدام وكلاء يقومون بالمهمة بدلاً عنهم في كافة مناطق العالم الإسلامي.

وفيما يلي: الأهداف المعلنة - في دراسات (راند) - من تكوين الشبكات، وما يناط بها من مهام:

١- تعزيز قيم الحداثة الديمقراطية الغربية، من خلال نشر أنموذج للإسلام (المعتدل) وتعزيزه، وتعميم المعرفة به^(٢). و«إيجاد قنوات اتصال تشجع على نشر التفسيرات الحديثة للإسلام، وتعميمها»^(٣).

٢- «تعزيز الجهود الداعية إلى الديمقراطية، والتي تواجه - بشكل مباشر - الأنظمة السياسية الاستبدادية، بصفتها جزءاً أساسياً من استراتيجية أوسع»^(٤).

ويشير باحث روسي درس أسباب سقوط الاتحاد السوفيتي والنظام الشيوعي إلى نجاح هذه الجهود في (دمقرطة الاتحاد السوفيتي)؛ بسبب استحواذ المخابرات المركزية الأمريكية على بعض النافذين في السلطتين التشريعية والتنفيذية، وفي المفاصل الأساسية لأجهزة الإعلام والفن والثقافة^(٥).

(١) المرجع السابق: P. 5 ، نقلاً عن: Derk Kinnane, "Winning Over the Muslim Mind," The National Interest, Spring 2004, P. 93-99.

(٢) Civil Democratic Islam: Partners, Resources, and Strategies, Cheryl Benard, (Santa Monica, Rand, 2003). P. 62.

(٣) Building Moderate Muslim Networks. P. 85

(٤) المرجع السابق: P. 140

(٥) الاتحاد السوفيتي في ملفات المؤامرة العالمية، أوليغ بلاتونوف، ترجمة د. يوسف سلمان و د. نجم الدليمي، نشرت الترجمة عام ٢٠٠٨م في حلقات على موقع الحوار المتمدن:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=148044>

٣- إخراج (المعتدلين) من عزلتهم، وما يتعرضون له من خطر؛ فأصواتهم منكسرة، ويلتزمون الصمت في الغالب^(١)؛ (فالليبراليون) والعلمانيون ونحوهم بحاجة إلى تقوية، وبخاصة في مجال التنظيم، الذي يتسم بالضعف الشديد. فإذا جرى الربط بينهم سويًا في شبكات قوية؛ فإن هذا من شأنه أن يوسع من نطاق رسالتهم، وزيادة تأثيرهم، ويمكّنهم من المنافسة بشكل أكثر فاعلية في الميدان السياسي مع الجماعات الإسلامية التي تفوقت عليهم تنظيميًا^(٢)؛ «تكوين شبكات دولية (للمعتدلين) يعد أمرًا بالغ الأهمية؛ لأن هذه الشبكات ستزودهم بقاعدة لتوسيع نطاق رسالتهم، وستوفر لهم بعض الحماية»^(٣).

ودعا إلى نحو هذا الهدف مؤتمر لـ(راند) عقد في (بروكسل) قبل أحداث ١١/سبتمبر، بالتعاون مع حلف شمال الأطلسي، بعنوان: (أمن البحر الأبيض المتوسط)، وذلك عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، وجاء فيه: أنه «ينبغي على الغرب تشجيع نشوء القوى (المعتدلة) غير الإسلامية (المتطرفة) في المنطقة وتقديم الدعم لها»^(٤).

وتسعى (راند) من خلال هذا الهدف إلى ما سعى إليه الاستعمار من قبل في مصر وغيرها، فقد «أفلح الاستعمار في تكوين جيل يستحي من الانتساب للإسلام ويكره أن يُرى وهو يقوم بشيء من شعائره، خصوصًا بين المثقفين الكبار، والطبقات التي تُهيأ للحكم والنفوذ»^(٥).

ولا يهم في التكتيك الأمريكي أن يكون (المعتدلون) أكثرية في البلد؛ ليحققوا الديمقراطية فيها، بل يمكن التعويل عليهم ولو كانوا أقلية بدرجة تحقق النجاح، بحسب فرضية (الأقلية المؤيدة، والأغلبية المحايدة، والأقلية المعادية)، تقول دراسة (راند) (مقارنة البدائل الاستراتيجية للولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب): «في أي وضع وأيًا كانت القضية، فستكون هناك أقلية مؤيدة، وأغلبية محايدة، وأقلية معادية؛ ومتى ما كان الوضع والقضية لجانب واحد هي الأحسن،

(١) The Muslim World after 9/11. P. 61

(٢) Building Moderate Muslim Networks. P. 77

(٣) The Muslim World after 9/11. P. 61

(٤) Mediterranean Security. P. 13

(٥) كفاح دين، ص ١٤٧.

كانت نسب المجموعات الثلاث هي الأفضل لذلك الجانب^(١). وهم يُعَوَّلون على هذه الفرضية في الحرب العسكرية، وفي حرب الأفكار^(٢)؛ ولذلك يُلاحظ اهتمامهم الكبير بتقليل دائرة المعادين للغرب بوسائل وطرق شتى، من ذلك: إكثار الحديث عن التسامح وقبول الآخر بلا ضوابط ولا حدود، ومحاولة إبطال عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين، وتشويه صورة علماء الإسلام ودعائه، وغير ذلك؛ للوصول إلى تأييد فئة للغرب ونظامه يمكن الاعتماد عليها، وتحييد آخرين.

٤- سد الفراغ الناتج عن "نقص مؤسسات المجتمع المدني في الدول العربية، التي قد تعمل بصفة مؤسسات ناشرة للأفكار (المعتدلة)"^(٣)؛ حيث إن "جماعات المجتمع المدني المسلم تؤيد الاعتدال والحداثة"^(٤).

٥- التأسيس لإنشاء المجتمع المدني وتنميته، "إن إنشاء شبكات من (المعتدلين) جزء لا يتجزأ من المجتمع المدني، فالاثنان يقويان بعضهما البعض، ويعتمدان على بعضهما. ومن الناحية النظرية، إذا نشأ المجتمع المدني يتبعه الشبكات (المعتدلة)، والعكس صحيح"^(٥).

٦- المساعدة في حفاظ المجتمعات الإسلامية في جنوب شرق آسيا على القيم الحديثة و(المعتدلة)، على الرغم مما تواجهه من هجمة فكرية (متطرفة) من الشرق الأوسط^(٦).

٧- إطلاق هجوم منظم على الإسلام (المتطرف)^(٧). وهم يضيفون هنا وصف (المتطرف) (المتطرف) بعد الإسلام ليوهموا أنهم وأعضاء شبكاتهم ليسوا ضد الإسلام، ولكنهم ضد التطرف. والحقيقة أنهم ضد الإسلام نفسه بنقائه وصفائه، وليسوا ضد تطرف أو غلو فيه. ومن يتابع الإعلام ونقاشات بعض المثقفين يطلع على صدق ذلك، فالهجوم انصب على أحكام ثابتة في الإسلام، وليس على تصرفات غالين أو متحليين.

(١) Comparing Alternative U.S. Counterterrorism Strategies: Can Assumption-Based Planning Help Elevate the Debate? Robert J. Lempert & others, (Santa Monica, Rand, 2008). P. 262.

(٢) ينظر: المرجع السابق: P. 262, 273.

(٣) Building Moderate Muslim Networks. P. 87

(٤) The Muslim World after 9/11. P. 409

(٥) تكوين شبكات من المسلمين المعتدلين (الملخص)، ص ٨.

(٦) ينظر: Building Moderate Muslim Networks. P. 109

(٧) تكوين شبكات من المسلمين المعتدلين (الملخص)، ص ١١.

يقول خبير (راند) (هوفمان) عام ١٤٢٦ هـ: إن سعي الولايات المتحدة للتخفيف من كراهية المسلمين لها، عن طريق تقديم الدعم لتقويض الإسلام (المتطرف) أمر إيجابي، وإن كان قد جاء متأخرًا. والأمر سيستغرق سنوات، ويستلزم تحسين الدبلوماسية العامة مع العالم الإسلامي، ووضع مبادرات أكثر فاعلية لمواجهة (التطرف) ورسائل الكراهية^(١).

ويقول باحث في مركز بحوث بحريني: الهدف الأساس تغيير دين الإسلام نفسه، على النحو الذي يصبح مواتيًا لمشروع الهيمنة^(٢).

٨- الحصول على عاملين ضمن فئات الشبكات للمشاركة في جهود التغلب على التطبيق الصحيح للإسلام، القائم على الكتاب والسنة، والذي ينعته زورًا تقرير (بناء شبكات) وغيره بـ (التطرف الإسلامي)^(٣). ومن ذلك قول التقرير: تعزيز قدرات أعضاء الشبكات في مقاومة انتشار العقائد والأفكار (المتطرفة)^(٤).

٩- العمل على تشجيع (التقليديين) من أتباع المذهب الحنفي، باعتباره وسيلة لمواجهة (المحافظين) من (الوهابية) الحنابلة^(٥).

١٠- "تعزيز مكافحة تدفق التفسيرات السلفية (المتطرفة) للانبعاث الإسلامي، القادمة من الشرق الأوسط"^(٦)، إلى أطراف العالم الإسلامي.

(١) Does Our Counter-Terrorism Strategy Match the Threat? (Testimony), Bruce Hoffman, (Santa Monica, Rand, 9-2005). P. 18.

(٢) الحرب على الإسلام: الجوانب المعلنة والخفية (٢)، "هذا هو (الإسلام الجديد) الذي تريده أمريكا"، السيد زهره، في: برنامج الدراسات الاستراتيجية والدولية وحوار الحضارات (نشرة سياسية إعلامية)، (البحرين، مركز البحرين للدراسات والبحوث، ١٦/١٠/٢٠٠٦م)، ص ٥.

(٣) Building Moderate Muslim Networks. P. 70

(٤) المرجع السابق: P. 140

(٥) Rand Review, Vol. 28, No. 1, Spring 2004. P. 13

(٦) Building Moderate Muslim Networks. P. 85

١١- العمل على عكس تيار الأفكار، فبدلاً من أن تكون الأفكار صادرة من قلب المنطقة العربية إلى العالم الإسلامي، تكون من (المعتدلين) في أطراف العالم الإسلامي إلى قلب المنطقة العربية^(١).

١٢- الخروج من صراع الحضارات بين الغرب والمسلمين، وجعله صراعاً محصوراً بين المسلمين فيما بينهم، تنالهم مساوئهم، ويسلم الغرب من تبعاته. تقول دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) في توصياتها، تحت عنوان (تشجيع إنشاء شبكات من المسلمين المعتدلين): "لم يكن الصراع في العالم الإسلامي صراع حضارات، ولكنه صراع داخله بين التوجهات (الليبرالية) والعلمانية من جانب، وبين التفسيرات (المتطرفة والعنيفة) من جانب آخر"^(٢). ويقول (هارولد براون) وزير الدفاع الأمريكي في عصر الرئيس (كارتر)^(٣): نحن لسنا قلقين من الإرهاب، نحن قلقون من السلفية الإسلامية. ينبغي أن نقود حرباً أهلية داخل الإسلام، وليس حرباً عالمية على الإرهاب. ويتطلب الأمر تثقيف أنفسنا لكيفية التعامل في هذه المواجهة مع السلفية الإسلامية، وكيفية مساعدة (المعتدلين)، وتثقيف مفكرينا وعسكرينا ودبلوماسيينا، فإنهم ليسوا مؤهلين جيداً لذلك^(٤).

١٣- "تشجيع الانقسامات بين الأصوليين"^(٥). وقد تمكنت الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي من إحداث انشقاقات في الحركة الشيوعية، حتى تعددت الأحزاب وبلغت أكثر من أربعين حزباً شيوعياً في الاتحاد السوفيتي بعد انهياره^(٦).

(١) المرجع السابق: P. 145

(٢) The Muslim World after 9/11. P. 60 . وهي فكرة نقلتها الدراسة عن (هنتغتون

(Huntington). ينظر: نفس المرجع: P. 139

(٣) تسلم الوزارة خلال الفترة من ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م إلى ١٤٠١هـ/١٩٨١م. المرجع التالي: P.8

(٤) RAND Review, Vol. 29, No. 2, Summer 2005. P. 10 . قاله في لقاء عقدته (راند) جمع

أربعة من وزراء الدفاع السابقين للولايات المتحدة، ونُشر ملخص ما دار في اللقاء عام ١٤٢٦هـ.

(٥) RAND Review, Vol. 28, No. 1, Spring 2004. P. 13

(٦) "هل كان غورباتشوف شيوعياً؟"، نجم الدين الدليمي، موقع الحوار المتمدن:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=225605>

يتضح من تلك الأهداف المعلنة لتكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين) أن غاية ما ترمي إليه: القضاء على الإسلام، وتقويض أركان الدولة الإسلامية، بتشجيع النفاق وأهله، ومحاولة جعلهم الأقرب دوماً لتسلم القيادة في الدول الإسلامية، وبخاصة مع السعي الغربي الحثيث إلى تحويل الدول الإسلامية إلى دول ديمقراطية على النمط الغربي.

وكذلك إحداث الفرقة والخلاف والنزاع بين المسلمين، وبخاصة فيما بين أهل السنة والجماعة.

وبذلك يكون الاستشراق الأمريكي الحديث الساعد الأيمن للسياسة الأمريكية، وممهداً لاستعمارها العالم الإسلامي استعماراً سافراً، أو استعماراً بأنواع أخرى بديلة تقوم مقام الاستعمار السافر.

وصدق الله تعالى في إخباره عن ديدن الكافرين: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

ويتضح مما سبق أن العبارة الأصوب لاسم مشروع تكوين الشبكات هو: (بناء معاول هدم للإسلام من المنافقين، المرتدين، والفرق الضالة، ورققي الديانة).

ويتوقع مجلس الاستخبارات الوطني^(٢) في الولايات المتحدة الأمريكية في تقريره عام ٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ (اتجاهات عالمية ٢٠٢٥: عالم متحول)، أن (الإسلام التقدمي أو الحداثي) -الذي سيقدمه أمثال هؤلاء- سيضرب بجذوره في المجتمعات الإسلامية بحلول عام

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢١٧.

(٢) "هو مركز التفكير الاستراتيجي داخل حكومة الولايات المتحدة، ويقدم تقاريره إلى مدير الاستخبارات الوطنية، ويزود رئيس الولايات المتحدة، وكبار صانعي السياسات، بتحليلات لقضايا السياسة الخارجية التي يتم استعراضها وتنسيقها في جميع أجهزة الاستخبارات". موقع المجلس:

http://www.dni.gov/nic/NIC_home.html

٢٠٢٥م^(١)، الموافق لمنتصف عام ١٤٤٦هـ. بمعنى أن ثمة الآن بذراً يبذر، وغرساً يغرس، وأنه في ذلك الحين سيصبح أشجاراً ضاربة بجذورها في الأرض.

فهل سيتحقق توقع المجلس؟ أم أن المسلمين -حكومات وشعوباً- سيدركون الخطر ويتبصرون الغايات، ويحذرون مما ترمي إليه تلك الأهداف، ويضعون السبل الكفيلة بمنع تحقق ما تسعى إليه؟

(١) Global Trends 2025: A Transformed World, National Intelligence Council, (Washington, D.C., November 2008). P. 65.

المطلب الثالث : (المعتدلون)، والشروط المطلوبة فيهم، وأنواع دعمهم، ومستويات العمل على تكوين شبكاتهم:

أولاً: (المعتدلون):

يشير تقرير (بناء شبكات) إلى صعوبة التمييز بين الحلفاء الذين يمكن للولايات المتحدة الاعتماد عليهم وبين الخصوم، وهذه الصعوبة تمثل مشكلة رئيسة للمنظمات والحكومات الغربية التي تحاول تنظيم الدعم للمسلمين (المعتدلين)^(١).

ويوصي التقرير بالتعاون مع ثلاث فئات باعتبارهم (معتدلين)، وهم:

١- العلمانيون.

٢- (الليبراليون).

٣- (التقليديون المعتدلون)، ومنهم الصوفية^(٢). والمراد بـ(التقليديين المعتدلين): هم الذين يقبلون بعض التنازلات في الدين، ولديهم استعداد للنقاش حول (الإصلاحات) وإعادة التأويل^(٣).

ويشير التقرير إلى سبب اختيار هؤلاء بأنهم إلى حد ما يتجنبون فكر (العنف) وعدم التسامح؛ فهم يشتركون مع الولايات المتحدة وأصدقائها وحلفائها في الصراع الفكري مع الإسلام (المتطرف)^(٤). والمعنى الصحيح: أنهم لا يؤيدون الجهاد في سبيل الله تعالى، ولا يرون البراء في الدين.

ويدعو التقرير إلى التركيز من هؤلاء على خمسة أنواع، هم^(٥):

أ- الأساتذة الجامعيون والمثقفون العلمانيون و(الليبراليون).

(١) Building Moderate Muslim Networks. P. 65

(٢) المرجع السابق: P. 70

(٣) ينظر: ص ١٣٦ من هذه الرسالة.

(٤) Building Moderate Muslim Networks. P. 3

(٥) المرجع السابق: P. 142 ؛ وملخصه: تكوين شبكات من المسلمين المعتدلين، ص ١٠.

ب- شباب علماء الدين (المعتدلين).

ج- نشطاء الجماعات.

د- المجموعات النسائية العاملة في حملات المساواة بين الجنسين.

هـ- الكتّاب والصحفيون (المعتدلون).

ثانيًا: الشروط المطلوبة في (الاعتدال)، وتحليلها، ونقدها:

يضع تقرير (بناء شبكات) أربعة شروط مطلوبة في المؤسسة أو الشخص حتى يكون

(معتدلاً)، وهي^(١):

١- القبول بالديمقراطية.

٢- القبول بمصادر غير مذهبية في تشريع القوانين^(٢).

٣- احترام حقوق المرأة، وحقوق الأقليات الدينية^(٣).

٤- نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع.

ويدعو التقرير إلى توجيه مجموعة أسئلة متنوعة، من مفردات هذه الشروط وتفصيلاتها؛ للتأكد من حقيقة الالتزام بهذه الشروط، وأن الجهة أو الشخص يعلم مدلولها، ولوازم القبول بها، وما يترتب على احترامها^(٤). وتلك الشروط تسري حتى على العلمانيين؛ لأن الولايات المتحدة لم تعد ترغب بالسلطويين والانتهازيين الذين يحاولون الوصول إلى الحكم والاستئثار به وينبذون الديمقراطية^(٥).

(١) Building Moderate Muslim Networks. P. 66

(٢) بمعنى عدم الاقتصار على الشريعة الإسلامية، وبخاصة عند تعارضها مع الديمقراطية وحقوق الإنسان المعترف بها دوليًا.

(٣) ينظر تعريف الأقلية: ص ١٤٥.

(٤) Building Moderate Muslim Networks. P. 68-70 ؛ وينظر ترجمة الأسئلة: استراتيجيات غريبة

لاحتواء الإسلام، ص ٢٨.

(٥) ينظر: Building Moderate Muslim Networks. P. 141

وهذه الشروط هي في الحقيقة برنامج عمل، أكثر منها شروطاً، فهي دعوة إلى تركيز العمل بها في العالم الإسلامي؛ لأن «التأكيد على هذه المبادئ الديمقراطية يساهم في إنشاء مناخ سياسي واجتماعي يسهل من تكوين شبكات من (المعتدلين)»^(١).

وقد بيّن تقرير (بناء شبكات) أن الولايات المتحدة قامت بنفسها، على الصعيد العام والخاص، بالترويج لتلك القيم التي عبرت عنها الشروط. وجعلتها وزارة الخارجية الأمريكية في أسس أعمال كثير من المؤسسات الدولية العاملة في العالم الإسلامي^(٢).

وتؤدي هذه الشروط في الحقيقة إلى تحقيق أسس الهيمنة الأمريكية على العالم الإسلامي؛ فالديمقراطية هي الأساس الأول الذي تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقه واقعاً في البلدان الإسلامية بشتى الوسائل والسبل؛ لذا كان القبول بها والترويج لها الشرط الأول. ويحقق (القبول بمصادر غير مذهبية) الأساس التشريعي الذي تُبنى عليه هذه الديمقراطية، بحيث تكون علمانية (ليبرالية).

ولا تهمهم حقوق النساء والأقليات، ولكن يهتمهم تهيئتهن مع الأقليات لدعم الأحزاب غير الإسلامية للفوز في العمليات الديمقراطية. وقد تبين هذا في مبحث المرأة في الفصل السابق. ويقول ملخص تقرير (بناء شبكات): «إن الترويج للمساواة بين الجنسين يعد مكوناً رئيسياً لأي مشروع يهدف لتمكين المسلمين (المعتدلين)»^(٣).

كما أن الأقليات لديهم القابلية لخدمة المصالح الغربية أكثر من غيرهم، وبخاصة إذا كانت الأقلية نصرانية أو يهودية. وأكبر من هذا أن دعم حقوق الأقليات قد يتطور إلى المطالبة بانفصال مناطق الأقليات بدولة أو دول مستقلة عن الدولة الأم.

ويهدف شرط (نبذ العنف غير المشروع) إلى منع مقاومة التغيير الديمقراطي، وتطبيقاته، بحسب استنتاج الباحث.

(١) المرجع السابق: P.46؛ وملخصه: تكوين شبكات من المسلمين المعتدلين، ص ٧.

(٢) ينظر: P. 46 Building Moderate Muslim Networks.

(٣) تكوين شبكات من المسلمين المعتدلين (الملخص)، ص ١٠.

كما يهدف إلى إسقاط منزلة الجهاد في سبيل الله تعالى من قلوب المسلمين، فلا يفكرون فيه ألبتة، أو على الأقل يرونه مشروعًا للدفاع فقط. وهدف إسقاط الجهاد بالكلية، أو حصره بالدفاع، هدفان ركز عليهما الاستعمار والاستشراق السابقان^(١).

ولم يبين التقرير معنى (الإرهاب)، كما لم يبين (العنف غير المشروع)، وإنما استندوا إلى مصطلح (الحرب العادلة)، على كونها تخرج الإرهاب والعنف غير المشروع، واكتفى بالاستدلال بأمثلة. فاستخدام العنف ضد المدنيين: غير شرعي. واستخدام العنف بشكل دفاعي؛ لحماية المسلمين من المعتدين: شرعي، على ألا يتجاوز حدوده، فلا بد له أن يستخدم الحد الأدنى من القوة المطلوبة، وأن يحترم حياة غير المقاتلين، وأن يتجنب الكمائن والاغتيالات^(٢).

واستنادهم إلى مصطلح (الحرب العادلة) هو استناد إلى مصطلح غير محدد، ولا يصح أن يكون معيارًا دقيقًا؛ فموجبه تختلف وجهات النظر في الحكم على حرب ما بأنها عادلة، أو غير عادلة، بحسب الأهواء، وبحسب المصالح الغريبة الدولية المسيطرة.

أما قولهم: (عدم استخدام العنف ضد المدنيين)، فهذا صحيح بشرط ألا يشاركوا في الحرب بأي صورة كانت.

وأما جعلهم استخدام العنف للدفاع أمرًا شرعيًا، فإن خبراء (راند) ومنهم معدو التقرير لا يسلّمون بصحة هذا واقعًا، فهناك إجماع -يدل عليه استقراء دراسات (راند)- على أن ما تقوم به المقاومة الفلسطينية إرهاب، وأنه غير مشروع. أليس المقاومون الفلسطينيون مسلمين يدافعون ضد المعتدي اليهودي؟!

ثالثًا: أنواع الدعم:

دعمت حكومة الولايات المتحدة مناشط بناء الشبكات أثناء الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي بأربع طرق حيوية^(٣):

١- المساعدة في تنظيم الديمقراطية وبناء الشبكات.

(١) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ٢٠٩-٢٢٣.

(٢) Building Moderate Muslim Networks. P. 68

(٣) المرجع السابق: P. 26-28

٢- التمويل المالي.

٣- توجيه السياسة العامة لعمل الشبكات.

٤- تقديم المساعدات المباشرة المحدودة للمؤسسات.

وقد استمر دعم الاستخبارات الأمريكية بصورة سرية فترة من الزمن لبعض المؤسسات (الليبرالية) المعادية للشيوعية؛ للحفاظ على مصداقيتها، ومصادقية أعضائها^(١).

وكان من طرق المواجهة مع الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة أن توجهت بعض المؤسسات (الليبرالية) التي أنشئت في (برلين) عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م بدعم من الاستخبارات الأمريكية، إلى تركيز العمل بطريقة أكثر براعة وأقل مواجهة، حيث تركت المواجهة العسكرية، وركزت على الإصلاحات السياسية والاجتماعية؛ من أجل تقويض الإغراء الأخلاقي الشيوعي^(٢).

هذا التوجه القديم، وجد تصاعداً له في العالم الإسلامي بُعيد غزو العراق، وتعثُر تحقيق بعض أهم أهدافه؛ مما يؤكد نقل أساليب الحرب الباردة ووسائلها إلى المواجهة مع العالم الإسلامي.

ويشير تقرير (بناء شبكات) إلى أن الولايات المتحدة ستقدّم لمن تنطبق عليهم صفة (الاعتدال) من الأفراد والمؤسسات في العالم الإسلامي، الدعم المالي، والسياسي، والتقني^(٣). ويوصي التقرير بإيجاد سبل كفيلة بالحفاظ على مصداقية المجموعات التي تحصل على الدعم المالي والإداري من الولايات المتحدة الأمريكية، أو غيرها من الهيئات الدولية^(٤). بمعنى ألا تتشوه صورة هؤلاء في مجتمعاتهم بانتشار أخبار تلقيهم الدعم الأمريكي.

ومن صور الدعم السياسي والاجتماعي التي دعا إليها التقرير: أن تقوم الولايات المتحدة بتسليط الضوء على أفراد هذه الشبكات، وإشراكهم في الندوات والمؤتمرات^(٥).

(١) نفسه: P. 21

(٢) نفسه: P. 19- 20

(٣) نفسه: P. 43

(٤) نفسه: P. 140

(٥) نفسه: P. xxii

رابعاً: مستويات العمل على تكوين الشبكات:

يدعو تقرير (بناء شبكات) إلى العمل على ثلاثة مستويات، هي:
 «١- دعم الشبكات القائمة.

٢- تحديد الشبكات الممكنة، ودعم إنشائها ونموها.

٣- تعزيز الشروط الأساسية للتعددية والتسامح؛ التي ستكون أكثر ملاءمة لنمو هذه الشبكات»^(١).

ويدعو التقرير إلى زيادة التركيز على المستوى الثالث؛ لكونه يمثل منهجاً أكثر استقراراً، ويمكن تطبيقه بشكل أسهل، وهو أقل عرضة للمخاطر. ويقول: عند العمل على تكوين شبكات معتدلة، ينبغي على الولايات المتحدة -للأسف- أن تصارع البيئات القمعية، والمستويات ذات المعاداة العالية للأمركة (Americanism)^(٢).

ويقوم تكوين الشبكات على الربط بينها في البلد الواحد، وتارة يقوم على الربط بين شبكات بلد مع شبكات بعض البلدان الأخرى؛ بغية تأثير بعضها على بعض، والتعلم من بعضها، وتطويرها لتصبح قوية. فيمكن لشبكة جنوب شرق آسيا أن تؤثر في شبكات الشرق الأوسط^(٣).

ويعترف التقرير بأن الجهود الأمريكية المبذولة في الشرق الأوسط قد تستهلك كثيراً من الموارد في مقابل الحصول على تأثير قليل أو منعدم؛ مما يستدعي أن تتخذ الولايات المتحدة سياسة جديدة، منتقاة، وغير متماثلة، كما كان في الحرب الباردة، وذلك بتجنب مركز الثقل لدى الخصم، والتركيز على برامج الشركاء والمناطق التي يحتمل فيها أن يثمر الدعم بأكبر أثر في ميدان حرب الأفكار^(٤).

(١) نفسه: P. 44

(٢) نفسه.

(٣) ينظر نفسه: P. 84-85

(٤) نفسه: P. 142

ويوصي التقرير بأن يكون مجال الأوليّات في تكوين الشبكات: مناطق العالم الإسلامي غير الشرق الأوسط؛ حيث يمكن العمل فيها بحرية، وتمثل بيئتها أكثر انفتاحًا للعمل والتأثير، وتكون نسبة النجاح فيها أكبر. ولا يعني هذا هجر الشرق الأوسط، ولكن انتظار تهيؤ الفرص للتقدم، والتي قد تظهر في أية لحظة^(١). والواقع العملي يدل بصورة جلية على أنهم لم يفرقوا بين الشرق الأوسط والأطراف النائية من العالم الإسلامي، بل العمل جرى فيهما بدرجات متقاربة.

(١) نفسه: P. 143-144

المطلب الرابع : مصدر الدعوة إلى تكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين)، والعلاقة بالحرب الباردة:

تقف الأيدي اليهودية خلف الدعوة إلى تكوين الشبكات، سواء في نشأتها بادئ الأمر ضد الاتحاد السوفييتي، أم في إعادة توجيهها بقوة ضد العالم الإسلامي.

فعند تفحص دراسات (راند) وتتبعها بحسب تسلسلها التاريخي، لمعرفة مصدر الدعوة الحديثة في تكوين شبكات ضد العالم الإسلامي، يجد الباحث أن نشأة الدعوة إلى تكوين شبكات من المسلمين تعود إلى باحثة (راند) اليهودية (شيريل بينارد)، حيث ظهرت هذه الدعوة أول مرة في تقريرها (إسلام حضاري ديمقراطي)، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الذي أقامته على ما بدا ضرورة في نظرها وهو: تعزيز النزاعات الكامنة داخل الإسلام، والداعية إلى إقامة نظام اجتماعي (معتدل) المنحى، ديمقراطي، ومسلم، ومتسامح. وتلمست أفضل الطرق لإنجاز هذا النظام (المعتدل) على أكمل وجه^(١). وبحث عن خصائص (المعتدلين)، ووضعت سبل التعامل معهم، وطرق دعمهم. وفتشت عن المجموعات التي يمكن أن يستعان بها بصفة شركاء لتعزيز الديمقراطية داخل العالم الإسلامي^(٢).

ثم أكدت تلك الدعوة عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م بصورة أوسع في الفصل العاشر الذي أعدته بمشاركة باحث آخر، وذلك ضمن دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١)، وقد كان الهدف الأول منها: «تصنيف الاتجاهات الفكرية والعقدية في مختلف مناطق العالم الإسلامي؛ لتحديد القطاعات التي يمكن للولايات المتحدة الأمريكية إيجاد أرضية مشتركة معها لتعزيز الديمقراطية والاستقرار، ومواجهة تأثير مجموعات (التطرف والعنف)»^(٣).

(١) إسلام حضاري ديمقراطي، ص ١٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٣) The Muslim World after 9/11. P. iii

وفي خارج دراسات (راند)، نشر الصهيوني (روبرت ساتلوف) عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م كتابه: (معركة الأفكار في الحرب على الإرهاب) (The Battle of Ideas in the War on Terror)، تحدث فيه عن تكوين الشبكات. و(ساتلوف) هو المدير التنفيذي لمعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، وهو معهد صهيوني. ينظر في كون المعهد ومديره صهيونيين: الدعاية والإرهاب، ص ٢٤١.

ثم تَوَّجها تقريرٌ أوسع وأشمل وأكثر تفصيلاً، شاركها فيه مجموعة من خبراء (راند)، حمل عنوان (بناء شبكات من المسلمين المعتدلين)، وذلك عام ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م، ووُضعت فيه الشروط والضوابط للمسلم (المعتدل)، أو الحزب (المعتدل)، أو المنظمة (المعتدلة). وهكذا ترقّت الدعوة إلى (تكوين شبكات من المسلمين المعتدلين) من دعوة فردية لـ(بينارد)، إلى دعوة ثنائية، إلى دعوة جماعية.

هذا ما يتعلق بالدعوة الحديثة في تكوين الشبكات ضد العالم الإسلامي، أما في تكوين الشبكات سابقاً ضد الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية في أوروبا فتعود فكرتها -بحسب باحث روسي لا يتبع (راند)- إلى أعضاء في الماسونية العالمية؛ بهدف السيطرة على العالم، والقضاء على القوى الوطنية والتقدمية على الصعيدين العالمي والوطني. وتحدّث عن اختراق ماسوني لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية منذ نشأتها، واختراق لعدد من الإدارات الحكومية الأمريكية، وأفصح عن أسماء بعضهم^(١).

ويذكر تقرير (راند) (بناء شبكات): أن فكرة تكوين الشبكات ضد الاتحاد السوفييتي تعود إلى (جورج كينان George Kennan)^(٢)، رئيس التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية^(٣)، وبعد الموافقة على خطته عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م، تأسس (مكتب الخطط الخاصة)، وتغير اسمه سريعاً إلى (مكتب تنسيق السياسات Office of Policy Coordination)

(١) الاتحاد السوفييتي في ملفات المؤامرة العالمية، موقع الحوار المتمدن:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=148044>

(٢) ولد عام ١٣٢١ هـ / ١٩٠٤ م في الولايات المتحدة، وتخرج في جامعة (برنستون) وعمل في السلك الدبلوماسي في بعض دول أوروبا، وتعلم اللغة الروسية، وعمل في سفارة الولايات المتحدة في موسكو في فترتين منفصلتين، وفي عام ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م صار رئيساً للتخطيط السياسي، وتقاعد عام ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م، وله مجموعة من المؤلفات في السياسة والتاريخ، توفي عام ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الموسوعة البريطانية: <http://ar.wikipedia.org/wiki>

<http://www.britannica.com/EBchecked/topic/314760/George-F-Kennan>

(OPC)، ليقوم بمهام إدارة الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة من أجل إيجاد شبكات معادية للشيوعية. وفي عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، جرى نقل الجزء الخاص ببناء الشبكات إلى (شعبة المنظمة الدولية) (IOD)، وهي من شعب الاستخبارات الأمريكية، مخصصة لتمويل مناشط التأثير على المثقفين والعمال والطلاب في الكتلة الشيوعية^(١).

ولم يكن (جورج كينان) يهوديًا، لكنه تأثر بشخصية يهودية من أبرز شخصيات القرن العشرين الميلادي في دراسة السياسة الدولية، وهو (هانز يواخيم مورقنثاو Hans Morgenthau)، (١٣٢١-١٤٠٠هـ / ١٩٠٤-١٩٨٠م)، ينحدر من عائلة يهودية ألمانية، حصل على الدكتوراه في الفلسفة السياسية في ألمانيا، وهاجر عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ودرّس في عدد من الجامعات الأمريكية، وله كتب تدّرس في الجامعات الأمريكية، وله مشاركات واسعة في تأليف الكتب، وكتابة المقالات، حول السياسة الدولية والسياسة الخارجية الأمريكية، وله حضور بارز على مستوى المثقفين، وتأثير عليهم وعلى السياسيين الأمريكيين ومن بينهم (جورج كينان)، وعمل مستشارًا في وزارة الخارجية الأمريكية عندما كان (كينان) رئيسًا للتخطيط السياسي فيها، وكان (مورقنثاو) يعارض سياسة القوة، ويدعو إلى (الواقعية السياسية Political realism)^(٢) والاقتراب فيها إلى السلوك الدولي، وقد قدمت (الواقعية) الأساس الفكري للحرب الباردة. وبعد النصر الذي حققته الولايات

(١) المرجع السابق: P. 13

(٢) الواقعية نزعة تعتمد على الحس والحقائق الملموسة في الحكم على الأشياء وتقديرها. والواقعية السياسية: الحسابات الدقيقة للواقع وربط النتائج بالمقدمات، وتقدير النتائج دون انفعال أو أُمْنِيَّات.

المتحدة في الحرب الباردة، عاد الناس إلى كتبه ليقروها من جديد، مستشعرين أهمية أفكارها^(١). ومما يُلحظ في مواجهة الولايات المتحدة للعالم الإسلامي مطلع هذا القرن الميلادي أنها عادت إلى سياسة القوة، و«رَفَضَ الرئيس الأمريكي الثالث والأربعون^(٢) مبادئ الحرب الباردة في الاحتواء والردع باعتبارها غير كافية لمحاربة (الإرهاب العالمي)»^(٣)، وكانت الولايات المتحدة تهدد في بدايات غزوها أفغانستان والعراق أنه سيليهما دول أخرى. لكنها نشبت فيهما ولم تستطع الخروج منهما فضلاً عن أن تستهدف دولاً جديدة، واعتمدت في سبيل ذلك ميزانيات ضخمة، أوشكت إنفاقاتها أن تذهب سدى؛ ولذلك جاءت الدعوات المتكررة من (راند) وغيرها إلى العودة إلى (السياسة الواقعية) التي تمثلت بالدعوة إلى تكوين الشبكات، وترك المواجهة العسكرية المباشرة.

وهذا يؤكد على أن حرباً باردة جديدة جرى شنها على العالم الإسلامي، ويمكن رؤية معارك هذه الحرب بصورة يومية في كثير من الوسائل والأساليب والمرافق في المجتمعات الإسلامية.

(١) ينظر: المواقع الأربعة التالية:

http://www.myjewishlearning.com/history/Modern_History/1914-1948/American_Jewry_Between_the_Wars/Intellectual_Life.shtml
http://en.wikipedia.org/wiki/Hans_Morgenthau
http://www.encyclopedia.com/topic/Hans_J._Morgenthau.aspx
http://www.carnegiecouncil.org/resources/journal/22_3/reviews/005.html

وينظر في كون (الواقعية) قدّمت الأساس الفكري للحرب الباردة:

'The Cold War Liberalism of Reinhold Niebuhr and the Paradox of America's Moral Insecurity, Kendall S. Eyster. A Senior Project, presented to the Faculty of the History Department, California Polytechnic State University, San Luis Obispo, In Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree Bachelor of Arts. (Kendall S. Eyster, 2010). P. 2.

(٢) (جورج بوش) الابن.

(٣) الاستشراق الأمريكي، ص ٣٢-٣٣.

وتُعرّف الحرب الباردة بأنها: «حالة من التوتر السياسي والتنافس العسكري بين الدول، ولا تصل إلى الاشتباك المسلح لتصبح حربًا ساخنة. وتشن الحرب الباردة بمختلف الأسلحة الدبلوماسية والاقتصادية والإعلامية»^(١)، وغيرها.

و«الحرب نقيض السلم»^(٢)، وهي: السِّلْب^(٣)؛ فالمحارب يريد أن يسلبك شيئًا، سواء كانت حربه باردة أم حامية.

ولا يعني وصف (باردة) بالتجمد والتوقف، بل هي حرب قائمة، ولكن وصفها بـ(الباردة)؛ لأن الغرب لا يستخدم فيها أسلحته العسكرية، بل يستخدم وسائل أخرى، وقد يؤججها حربًا حامية بين المسلمين أنفسهم، أو بينهم وبين عدو غير غربي، فتظل باردة في حقه. ومن المعلوم أن الغزو الأرضي يحتاج إلى خبراء في العسكرية، والاتصالات، والتخطيط، والاقتصاد، والجغرافية، وغير ذلك. ولكن الغزو الفكري أعقد منه وأعمق؛ فهو لا يتحدى أرضًا بل عقلاً، ولا يواجه جيشًا بل شعبًا، ولا يحتل مساحة بل ثقافة، ولا يغزو موقعًا بل شخصية،

(١) الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص ١٦٣.

ظهر مصطلح الحرب الباردة ومرادفاته بعد الحرب العالمية الثانية، وإن كان مضمونه موجودًا في حروب العصور السابقة. ويرادف مصطلح الحرب الباردة: الحرب النفسية، وغسيل الأدمغة، وحرب الأعصاب، والطابور الخامس، والحرب السياسية، والحصول على عقول الرجال وإرادتهم، وحرب الأفكار، وحرب الكلمات، والعدوان غير المباشر، وبعثرة جهود الأمم، وتسميم المناخ الاجتماعي والسياسي، وتشيت الأمور، وتعويق التقدم، وغير ذلك. وتستخدم الحرب الباردة جملة من الوسائل، كالديعاية، والإعلام بأنواعه، والشائعات، وأنواع كثيرة غير ذلك. وتعتمد الحرب الباردة على ثلاثة أصول: علم السياسة، وعلم النفس، وعلم وسائل الاتصال. ينظر: "الحرب النفسية وكيف نواجهها"، د. محمد سيد محمد، مجلة الدراسات الإعلامية، (مصر، ع ٣٢-٣٣، ١٩٨٤م)، ص ٣٣-٣٤.

(٢) لسان العرب ٣٠٢/١، مادة: (حرب).

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤٨/٢.

ولا يسمم بئراً بل بلداً، ولا يدمر معدات بل ثقافة؛ ولهذا كان أعقد وأعمق، وبحاجة إلى جهد خارق، وصبر طويل، وتسلسل ذكي^(١).

ولا يُقال: إن هذه الحرب الباردة موجودة في العالم الإسلامي منذ عقود عديدة. فهذا الكلام مع صحته إلا أن تلك الحرب لم تكن بدرجة القوة الحالية، وكان تكوين الشبكات في السابق محدوداً، ولم تلق إلا دعماً محدوداً، وكانت مهمتها محددة^(٢)، فلم تصل إلى مثل هذه الحرب الضروس التي استنفرت فيها الولايات المتحدة كثيراً من الطاقات والمرافق والمؤسسات، واستخدمت كثيراً من الوسائل والأساليب المتنوعة، كما أنها لم تهدف إلى النتيجة المطلوبة حالياً.

والسؤال المهم حقاً: ما النتيجة التي تسعى إليها هذه الحرب؟

يرى الباحث أنه ما دام أن الحرب الباردة مع العالم الإسلامي أخذت أساليب الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية في أوروبا، واستخدمت مثل وسائلها، بل وحولت بعض وسائلها وإدارتها من تلك الحرب إلى هذه الحرب^(٣)؛ فإن النتيجة المطلوبة في هذه الحرب نفس النتيجة التي تحققت في الحرب السابقة.

وفيما يلي: أهم النتائج التي حققتها الولايات المتحدة في الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية شرق أوروبا:

(١) ينظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، سلسلة دعوة الحق

(٥)، (مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠١هـ)، ص ١٠.

(٢) جاء في تقرير (بناء شبكات) أن هناك شبكات قائمة في العالم الإسلامي، لكنها عشوائية ولم يتم

الإعداد لها بشكل كاف. Building Moderate Muslim Networks. P. 144

(٣) ينظر: ص ٧١٤-٧١٧.

١- حل الاتحاد السوفيتي وتفكيكه، وتقسيم يوغسلافيا إلى أربع دول، ثم ست فيما بعد^(١).

(١) وقد تحقق الآن تقسيم السودان إلى دولتين. وأصبح العراق يزداد كل يوم تهيؤًا للتقسيم إلى ثلاث دول أو يزيد، وتعرض أهله إلى أساليب وممارسات جعلتهم ينشدون التقسيم ويرغبون فيه، وقد قابلت عددًا من المثقفين العراقيين من أهل السنة يرغبون بدولة سنية منفصلة، ويرونه حلاً ينقذهم من الأوضاع السيئة التي يعيشونها، وقابلت أكرادًا يرغبون بدولة كردية منفصلة في العراق. وهناك محاولات حصلت في تقسيم ليبيا. وغُثِر على مخططات لتقسيم مصر.

ومخططات التقسيم هدف صهيوني استراتيجي يسعى لتعظيم دولة الاحتلال في فلسطين، وتصغير وإضعاف الدول الإسلامية والعربية بخاصة، وتفتيتها إلى كيانات صغيرة. قال (برنارد لويس) المفكر الأمريكي اليهودي الصهيوني، في مقابلة أجرتها معه وكالة الإعلام الأمريكية عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م يتحدث فيها عن العرب والمسلمين: إن "الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة؛ لتجنب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان، إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثير بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم، ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، إما أن نضعهم تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمروا حضارتنا، ولا مانع عند إعادة احتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية، وخلال هذا الاستعمار الجديد لا مانع أن تقوم أمريكا بالضغط على قيادتهم الإسلامية- دون محاملة ولا لين ولا هوادة- ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الإسلامية الفاسدة، ولذلك يجب تضيق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها، واستثمار التناقضات العرقية، والعصبيات القبلية والطائفية فيها". تفاصيل مخطط "برنارد لويس" لتفتيت العالم العربي والإسلامي"، فتحي شهاب الدين، نشر في عدد من المواقع، منها:

<http://www.nawiseh.com/monawat/bernardlois/index.htm>

وبعد عامين من تصريح (برنارد لويس) أقر مجلس الشيوخ الأمريكي قرارًا يقضي بتقسيم العراق إلى ثلاث دويلات. "مخطط برنارد لويس"، د. محمد عمارة، موقع صحيفة المصريون:

<http://www.almesryoon.com/news.aspx?id=23860>

٢- إحداهن الثورات وتغيير الحكومات الشيوعية^(١).

يقول ضابط في أمن الدولة في الاتحاد السوفييتي ثم في روسيا بعد التفكك، في حديثه عن السياسة الأمريكية خلال الحرب الباردة: جرى التركيز على تكوين (قوى داخلية معارضة)، يمكنها في حال تلقيها دعمًا خارجيًا أن تستولي على السلطة، وستتمكن لاحقًا من تحويل بلدانها لتصبح ذات توجهات غربية^(٢).

ويُنقل عن أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي قوله: «في بولونيا^(٣)، عملنا كل شيء، عملنا كل ما يمكن عمله في تلك البلدان التي نريد زعزعة استقرار حكوماتها الشيوعية وتعزيز المقاومة ضدها»^(٤).

(١) كانت ثورة المجر (هنجاريا) عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م من أوائل الثورات التي نتجت عن جهود المكتب المعني بتكوين الشبكات، وهو (مكتب تنسيق السياسات OPC)، الذي تولى مهامه منذ تأسيسه (فرانك ويزنر Frank Wisner)، لكن الثورة فشلت، ولم تسمح تقديرات الولايات المتحدة آنذاك بالتدخل، وذهب ضحيتها ثلاثون ألفًا من المجرين، وعلى إثر فشلها أُصيب (وزنر) بمرض الاكتئاب، وأُغفي من منصبه بعد عامين من الثورة، واستمر يتعالج حتى قُتل نفسه ببندقية عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م. ولم يثن هذا من مسار خطط تكوين الشبكات، بل استمر المخطط حتى سقطت جميع الدول الشيوعية في أوروبا، وسقط معها الاتحاد السوفييتي.

ينظر : Building Moderate Muslim Networks. P. 13 ؛

http://en.wikipedia.org/wiki/Frank_Wisner ؛
"A Timeline of CIA Atrocities", By Steve Kangas, on :
<http://www.huppi.com/kangaroo/CIAtimeline.html>

ومن الذي دفع للزمار؟ الحرب الباردة الثقافية: المخابرات المركزية الأمريكية وعالم الفنون والآداب، فرانسيس ستونر سوندرز، ترجمة طلعت الشايب، ط ٤، (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م)، ص ٣٣١-٣٣٣.

(٢) خبايا الانهيار: المخابرات الأمريكية والسوفييتية ونوابض البيرسترويكا الخفية، فياتشيلاف شيرونين، ترجمة يوسف إبراهيم الجهماني و د. جمال الأسعد، (دمشق، دار حوران، ١٩٩٨م)، ص ١٠١.

(٣) وهي (بولندا): إحدى دول أوروبا الشرقية. موسوعة السياسة ١/٦١٠.

(٤) خبايا الانهيار، ص ٩٥.

٣- إنشاء حكومات ديمقراطية رأسمالية، حلت مكان الحكومات والدول الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وفي أوروبا جميعها.

٤- التأسيس لإنشاء نظام عالمي جديد، تتفرد فيه الولايات المتحدة بالزعامة؛ وهذا ما أعلنه الرئيس الأمريكي فور سقوط الاتحاد السوفيتي، و"كان المفكرون الاستراتيجيون... يزعمون أن الولايات المتحدة قد أصبحت القوة العسكرية العظمى الوحيدة المتبقية، وأن مسؤوليتها هي إرساء نظام عالمي جديد بفرض الديمقراطية ومنع انتشار الأسلحة النووية"^(١). وهو ما وافق "رغبة اليهود في وجود قوة واحدة تسيطر على العالم، وتتحكم"^(٢) فيه. وهو كذلك ما استشعرته بعض الهيئات والمؤسسات الدولية التي تقع في الولايات المتحدة، فأخذت ترفع من سقف مطالبها بفرض قيم عالمية تحررية على شعوب العالم أجمع. ولا يكتمل النظام العالمي إلا بتحول ما تبقى من دول العالم إلى أنظمة ديمقراطية، ليتسنى للنظام العالمي التحكم فيها، ولن يتأتى له هذا مع وجود أنظمة ذات سيادة، سواء كانت دينية، أم وطنية، أم قومية، أم عرقية، أم ملكية، أم غيرها؛ ولذلك كان من أهداف تكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين): تعزيز الجهود الداعية إلى الديمقراطية.

وإن كانت الولايات المتحدة قد قبلت أثناء فترة الحرب الباردة السابقة بتحديد بعض الدول، ولم تجربها على التحول إلى النظام الغربي، فإنها الآن -فيما يترجح لدى الباحث- لن تقبل إلا بالتحول، فلا منافس للولايات المتحدة تستدعيه سياسة التحديد. إن أفكار (بينارد) وكذلك أفكار مشروع تكوين شبكات من المسلمين (المعتدلين) هي أفكار يهودية صهيونية ماسونية، في جوهرها، وتطبيقها، وغاياتها^(٣).

(١) الاستشراق الأمريكي، ص ٥٣٠.

(٢) أسباب سقوط الشيوعية الماركسية، أحمد بن عبد الله بن جمعان آل سرور الغامدي، رسالة ماجستير غير منشورة، (مكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين: جامعة أم القرى، ١٤١٧ هـ) ١٦١١/٤.

(٣) ينظر للمقارنة: اليهودية والماسونية، عبد الرحمن الدوسري، (الخبر، دار السنة، ١٤١٤ هـ)، ص ٢٦-

يقول الكيلاني: «ولا نكون مغالين إذا قلنا: إن الصهيونية العالمية تأتي في مقدمة العوامل التي دفعت بالولايات المتحدة إلى الاهتمام بمنطقتنا حتى غدت تمثل جزءاً أساسياً من استراتيجيتها الدولية»^(١).

ويقول د. أحمد عبد العال: لا يكاد يخامر المتأمل في أهداف العولمة ووسائلها التنفيذية شك في أن للأصابع اليهودية والماسونية أثراً ظاهراً في صناعة العولمة، تخطيطاً، وترويجاً، وصياغة، ومن ثم تحقيقاً للأهداف اليهودية في الهيمنة على العالم، وتوجيهه وفق المصالح اليهودية^(٢).

وهذا ما أكده باحث درس الحرب الباردة السابقة، ووجد أن من دوافعها: «رغبة اليهود في وجود قوة واحدة تسيطر على العالم، وتتحكم في ثرواته ومقدراته، بعد أن أدت الشيوعية الغرض المطلوب منها في خدمة اليهود. فأردوا التمهيد لإسقاط المعسكر الشرقي لينتقلوا إلى الخطوة الأخرى في جعل العالم كله يدور في فلك الولايات المتحدة الأمريكية اليهودية»^(٣). وإذا كانت علاقة اليهود بالاستشراق ثابتة في الاستشراق السابق، ومشاركتهم فيه بقوة كانت ظاهرة^(٤)، فإنها في الاستشراق الحديث لم تتوقف بل استمرت، وربما كانت أشد خطراً بسبب التفرد السياسي الأمريكي في العالم، واختراق اليهود لمؤسسات صنع القرار في الولايات المتحدة، ومنها مؤسسة (راند).

وقد ذكر الله سبحانه أهل الكتاب في (٩٩) آية، وذكر النصارى والنصرانية في (٦٠) آية، بينما اختص ذكر اليهود من بين الأمم والديانات بـ (٢٧٨) آية؛ وفي هذا دلالة واضحة

(١) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل الكيلاني، (الدوحة، مكتبة الأقصى الإسلامية، ١٤٠٧هـ)، ص ١١٤.

(٢) دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة: نشأتها، منطلقاتها الفكرية، د. أحمد بن علي عبد العال، (جدة، دار الأوراق الثقافية، ١٤٣٢هـ)، ص ٢٥١.

(٣) أسباب سقوط الشيوعية ١٦١١/٤.

(٤) ينظر: تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، ص ٢٠؛ وأجنحة المكر الثلاثة، ص ٨٥.

على عناية الوحي بالتحذير من اليهود، وفضحهم، وبيان خطرهم؛ ليحذر المسلمون منهم^(١).
 «إن اليهودية العالمية تعلم تمام العلم أنها لا تحصل على مطلوبها إلا بنشر الإلحاد ومفاسد الأخلاق، والقضاء على التعاليم النبوية، وإزالة كل وازع ديني من البشرية، كي تتكامل وسائل الهدم الذي تريده دون عائق، ولذا أنزلوا ثقلهم على العالم الإسلامي عامة والعرب خاصة فخططوا لهم الغزو الفكري الهائل»^(٢).

«فاليهودية العالمية المعاصرة حركة معادية للأمة الإسلامية، تربت في أحضان الاستعمار الغربي، ورضعت الحقد اليهودي على الأمم الأخرى، فاكتمت كل الصفات التي تتصف بها كل من الحركة الاستعمارية والحركة اليهودية، فهي استعمارية توسعية، وهي لا أخلاقية تتبع الكذب والخداع والانتهازية للوصول إلى أهدافها، وهي حركة عدوانية تكره الأمم والشعوب غير اليهودية وتكن لهم كل عدا وُبغض، وهي حركة دينية تستند في سياستها التوسعية إلى التوراة والتلمود^(٣) وما فيهما من خرافات وأساطير»^(٤).

ويدرك علماءنا الأعمال التي يقوم بها اليهود في العالم الإسلامي، يقول ابن باز رحمه الله:
 «إن اليهود لا يألون جهداً في إفساد المسلمين في أخلاقهم وعقائدهم، ولليهود مطامع في بلاد المسلمين وغيرها، ولهم مخططات أدركوا بعضها ولا زالوا يعملون جاهدين لتحقيق ما تبقى، وهم وإن حاربوا المسلمين بالقوة والسلاح واستولوا على بعض أرضهم، فإنهم كذلك يحاربونهم في أفكارهم ومعتقداتهم، ولذلك ينشرون فيهم مبادئ ومذاهب ونحلاً باطلة»^(٥).

(١) المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم، د. محمد حسن الحمصي، (دمشق، دار الرشيد، ١٤١٦هـ)، ص ٧٠١-٧٢٤؛ وموقع العمق: <http://www.al3umq.net/jewsjudaism.html>

(٢) اليهودية والماسونية، ص ١٣٩.

(٣) التلمود: هو الروايات الشفوية التي تناقلها الحاخامات اليهود، والشرح عليها. ويحتل التلمود منزلة لدى اليهود تزيد على منزلة التوراة. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/٥٠١.

(٤) مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية، د. محمد عثمان شبير، (الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٩٩٠م)، ص ١٧-١٨.

(٥) موقع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: <http://www.binbaz.org.sa/mat/1708>

وتاريخ اليهود في الإفساد قديم جداً، قال الله تعالى: ﴿فِظْلَمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ ۚ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۖ﴾^(٢).

وعداوتهم لأمة محمد ﷺ منذ فجر الدعوة الإسلامية، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ﴾^(٤).

وحذرنا ربنا تبارك وتعالى من مغبة طاعتهم، ودعانا إلى الاعتصام به، وتقواه، وحذرنا من التفرق والاختلاف، وأمرنا بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٩ يَتَايَهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝٢٠ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢١ يَتَايَهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝٢٢ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٢٣﴾

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٠-١٦١.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٦١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ١٠٩.

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

ومن البشارات في صراعنا في هذه الحرب الباردة: أن من دعا إليها وألح في نشوبها (امرأة)، ويقول الرسول ﷺ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ»^(٢). وأنها يهودية وقد لعن الله تعالى اليهود في كتابه: ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٣)، وألقى سبحانه بينهم العداوة والبغضاء، وأخبر أنهم مفسدون والله لا يحب المفسدين: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤)، وأخبر سبحانه بضرب الذلة والمسكنة عليهم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُفْقُوا إِلَّا يَجْعَلِ مِنَ اللَّهِ وَحْبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾^(٥). فكيف يرجى لهم النجاح ما دام لله عباد مخلصون يجاهدون في سبيله بكل الوسائل؟!

والنصر في هذا مشروط بصدق إيماننا، وبنصرنا لله تعالى، فلا نقول كاليهود والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُمْ﴾^(٦)، بل نتمثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّنْصِرُوا اللَّهَ لِيُنْصِرْكُمْ وَيُغْلِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِن نُّكَفِرْكُمْ وَيُغْلِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِن نُّنْصِرْكُمْ يَتَوَكَّلْ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْنَا وَلَهُ الْحُكْمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ يَتَائِبِهِمُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ﴾^(٧)، ونسعى لتحقيق الإيمان لتحقيق لنا مدافعة الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٨).

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٩٩-١٠٥.

(٢) البخاري، سبق تخريجه ص ٣٨٦.

(٣) سورة النساء، من الآية: ٤٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ١١٢.

(٦) سورة المائدة، من الآية: ١٨.

(٧) سورة محمد، الآية: ٧.

(٨) سورة الحج، من الآية: ٣٨.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(١). «وفي هذا بشارة للمؤمنين، وتثبيت لأنفسهم، وإرشاد لهم إلى الوقاية من أذى المشركين وكيدهم، بالصبر والتقوى فإن من وفى بعهد العبودية لله، فالله أكرم بالوفاء له بما وعده من الحفظ والرعاية»^(٢).

ومن البشارات: أن الاتحاد السوفيتي كان يحارب في سبيل الشيطان، فكان بلا رب يحميه، ولم يُناج ربه يوماً: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)؛ ف وقعت به الهزيمة. أما المسلمون فإنهم يعبدون إلهاً واحداً وهو الإله الحق، يلجئون إلى حمايته، ويلوذون به، ويجاهدون في سبيله، ومن صفاته سبحانه أنه يعلم ويقدر ويريد، وأنه في مقابل مكر الكافرين وكيدهم يمكر ويكيد: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾^(٤)، ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلَهُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ﴾^(٥)، ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٦)، ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾^(٧).

ولا يوافق الباحث على ما ذهب إليه أحد الباحثين من أن «اليهود لا ينشئون الأحداث كما يزعمون لأنفسهم، وكما يتوهم من تبهرهم سيطرة اليهود في الوقت الحاضر. ولكنهم

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٢٠.

(٢) النفاق: آثاره ومفاهيمه، عبدالرحمن الدوسري، ط ٢، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٤هـ)، ص ١٠٦.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٤٢.

(٦) سورة النحل، الآية: ٢٦.

(٧) سورة الطور، الآية: ٤٢.

يجيدون انتهاز الفرص^(١)! بل الواقع أنهم يعملون، ويتنهبون الفرص، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾^(٢) كما أخبر الله عنهم . وكذلك يستغلون النصارى وغيرهم، والمنظمات الدولية، وبعض المسلمين؛ لتمرير أهدافهم، وتنفيذ مخططاتهم؛ فكثير من أساس الخطر منهم، ومنشأ الشر يصدر كثيرًا عنهم، ولكن يغلب عليهم استغلال غيرهم لمباشرة الإفساد.

والباحث الروسي الذي درس سقوط الاتحاد السوفيتي، وبَيَّن وقوف الماسونية العالمية خلف بناء الشبكات ضد الاتحاد السوفيتي، لم يجعل تفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط الحزب الشيوعي بسبب الجهود الماسونية وحدها، بل يرجعها إلى عوامل خارجية وداخلية متعددة. ويرى أن الذي قام بالإجهاد على الاتحاد والحزب: التحالف بين (الطابور الخامس)^(٣) و(عملاء و(عملاء النفوذ) في قمة الحزب والسلطة الروسية؛ حيث قام هؤلاء بتقويض حزبهم ودولتهم بدون إطلاق طلقة واحدة^(٤). ويقول: هناك حقيقة موضوعية، وهي: أنه مهما كان الحديث عن أثر العامل الخارجي ومكانته بصفته عاملاً رئيساً في إضعاف الأحزاب الشيوعية وتخريبها، والقضاء على الاشتراكية ومنجزاتها في كافة الميادين، إلا أن هذا الادعاء مبالغ فيه، ولا يعكس العلمية والموضوعية؛ لأنه مهما كان هذا العامل فاعلاً ومؤثراً فإنه يبقى عاملاً مساعداً للعامل الداخلي وبخاصة إذا وجد له أنصاراً يحققون هدفه^(٥).

(١) مخاطر الوجود اليهودي، ص ١٤.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٦٤.

(٣) الطابور الخامس: مصطلح يرمز إلى الخونة والمخربين من داخل المجتمع، يعملون لصالح عدو خارجي خارجي في حالة عداوة أو حرب مع الوطن والقيادة السياسية فيه، مستخدمين لتحقيق ذلك وضعهم الوظيفي في السلطة، أو عملهم في أجهزة صنع الرأي العام من إعلام وعلم وفن وثقافة.

موسوعة السياسة ٧٥١/٣؛ والاتحاد السوفيتي في ملفات المؤامرة العالمية، موقع الحوار المتمدن:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=148044>

(٤) الاتحاد السوفيتي في ملفات المؤامرة العالمية، موقع الحوار المتمدن:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=195150>

(٥) المرجع السابق.

ويؤكد أحد خبراء العسكرية أن الجبهة الداخلية تنهار «عادة نتيجة لعمليات العدو، أو بتأثير دعايته، أو باستخدام الطابور الخامس من المخربين»^(١).

والمتوقع أن يحصل هذا في أكثر بلدان المسلمين، كما قال -قديمًا- كبير المنصرّين الأمريكيين (زويمر) ومن معه، في معرض نصائحهم للمنصرّين في بلدان المسلمين: «الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها»^(٢).

هذا هو المتوقع إلا أن يتدارك الله المسلمين برحمته، ويوقظهم من غفلتهم.

إذن، فاليهودية والصهيونية والماسونية لا تستطيع -في حرب الأفكار- التأثير في بلاد المسلمين ما لم تجد لها من يساندها من الداخل.

«وما كان ذلك من سعيهم ولكنّ منّا يقوم المعين»^(٣).

(١) في عالم الحرب، محمد عبد العزيز منصور، (القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٤هـ)، ص ٢٦.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي، ص ٣٠.

(٣) من قصيدة لأبي إسحاق الألبيري (ت نحو ٤٦٠هـ) رحمه الله، يحذر فيها من يهود صنهاجة في الأندلس. ديوان أبي إسحاق الألبيري، تحقيق د. محمد رضوان الداية، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٦هـ)، ص ٩٧.

المطلب الخامس : سبل العمل في مواجهة الشبكات:

الأعمال الكبيرة لا بد أن يقابلها أعمال مضادة كبيرة. وتكوين الشبكات هو عمل دولي كبير، كثرت فيه الأطراف الفاعلة وتعددت، وتنوعت فيه الأساليب والوسائل وتغلغلت؛ لذا لا بد من اجتماع أهل الشأن والاختصاص لتبصر الأمر ووضع برامج عمل وأفكار توازي أعمال تكوين الشبكات وبرامجها.

ومهما أورد الباحث من مقترحات وتوصيات فإن المسؤولية بالدرجة الأولى منوطة بأهل الاختصاص والعقلاء من الأمة في وضع الحلول العملية الناجعة التي تدرأ الخطر عن الإسلام وعن بلدان المسلمين.

إنه لا خوف علينا من عدونا إذا قمنا بأمر، من أهمها ما يلي:

- ١- أن نعلم وننشر هذا العلم بيننا بأن عدونا يخطط ويكيد لنا كيذاً عظيماً خفياً وجلياً.
- ٢- أن نتيقن أن العالم الإسلامي اليوم يقع في رحي حرب باردة مستشرية من الغرب، والمحارب إذا لم يستشعر حالة الحرب فسيسقط سريعاً.
- ٣- لا بد من إيصال شعور حالة الحرب الباردة للناس؛ لأن كثيراً منهم قد استأمن، وغفل عن أساليب الحرب الموجهة ووسائلها وأفعالها، والغافل سرعان ما يُهزم، ويظفر به عدوه. وينبغي أن يكون هذا الإيصال بصورة إيجابية، بحيث لا يؤدي إلى الشعور باليأس والقنوط. وإيصال هذا الشعور ضرورة يدفع إليها حرص المسلم على حماية دينه وأمنه وأمته.
- ٤- أن نعلم أنه لا يُستثنى من هذه الحرب إلا الدولة التي باشرت العمل الديمقراطي على الطريقة الغربية العلمانية وظلت خانعة للغرب. أما غيرها فإن كل الصداقات ستتلاشى وتذهب، وكل المصالح الغربية معها ستوقف وتُعطّل، وذلك بحسب استنتاج الباحث، واعتماداً على بعض النصوص الغربية^(١)، والشواهد الواقعة.
- ٥- أن تعلم الدولة المسلمة التي تريد الإسلام وتنشده في نظامها أن أعداءها حقاً هم الذين تنطبق عليهم شروط القبول في الشبكات، وهم في الغالب: العلمانيون و(الليبراليون)

(١) ينظر: Exploring Religious Conflict. P. 43

Making Policy in the Shadow of the Future, Gregory F. Treverton, (U.S.A, Santa Monica ,Rand, 2010), P. xiii.

والفرق المنحرفة من الصوفية ونحوهم، وأصحاب التدين الضعيف الذين يقبلون التنازل عن بعض أحكام دينهم. وأن هؤلاء جميعهم سيتألبون على إضعاف أركان الدولة وخلخلة المجتمع وإفساده.

٦- أن تُقبل على إرضاء الله تعالى في جميع شؤوننا، وفي كافة مرافقنا، ولو أسخط الناس، ونحقق الجانب الإيجابي من القاعدة النبوية: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»^(١).

٧- لا بد أن ينبري العلماء والمختصون والعقلاء والأذكياء؛ لتدارس ما نعيشه من الحرب الباردة، وليدرؤوا عن الأمة في أقطارها ما يمكن أن يحصل من مداخل الخرق وسوء التدبير في المواجهة. والخرق: هو أن «يعامل الأعداء في موضع السلم بالحرب، وفي مواضع الحرب بالسلم والمودعة، وفي المواضع التي يحتاج فيها إلى المكيدة والصبر والحذر والتدبير بالخطأ والمغالبة والغلظة وترك السياسة»^(٢).

٩- ينبغي على وزارات الشؤون الإسلامية، والمراكز المعنية بالدعوة إلى الله تعالى، أن تضع برامج عمل متكاملة، تكافئ الحرب الباردة القائمة، وتنبري لـ «الهجمات الشرسة على الاعتقاد والأخلاق، والعلم والآداب والعلماء في قلوبها المتنوعة؛ من المذاهب والتموجات العقديّة

(١) الترمذي ٤/٤١٥، أبواب الزهد، باب، ح ٢٥٧٩؛ وابن حبان واللفظ له، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، ترتيب علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ)، كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١/٥١٠، ح ٢٧٦؛ وحسنه أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاييح والمشكاة، تحقيق علي بن حسن عبد الحميد الحلبي، (الدمام، دار ابن القيم، والقاهرة، دار ابن عفان، ١٤٢٢هـ)، ٤/٤٨٠، ح ٥٠٥٨؛ وصحح إسناده محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط ٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ)، ٢/١٠٥٢، ح ٦٠٩٧؛ وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق الإحسان.

(٢) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٦م)، ١/٣٠٠.

والمادية والفكرية والسلوكية ونحوها من الأهواء المضلة والبدع المكفرة؛ لبيان زيفها، وكشف باطلها، طردًا لها عن أوطان المسلمين وأفئدتهم»^(١).

١٠- تجديد الخطاب الدعوي، بحيث يقوم على أسس رصينة في منهج الحوار والبيان والاستدلال والإقناع؛ وذلك للتصدي للتيارات (الليبرالية) والعلمانية ونحوهما، ومنعها من إخراج الناس من النور إلى الظلمات.

ويؤكد حاجتنا إلى هذا المنهج أنه لا يمكن واقعًا تفادي هجرة الأفكار وتناقلها بين صفوف المجتمعات الإسلامية؛ نتيجة للعولمة وانفتاح المجتمعات على بعضها البعض في كافة أرجاء العالم^(٢).

١١- أن تعتمد الكليات الشرعية ساعات دراسية في آداب الحوار ومهاراته. وأن تتبنى إقامة دورات تدريبية للأسس والأساليب في محاور الفئات (الليبرالية) والعلمانية والفرق الضالة.

١٢- الإكثار من مناظرة الخصوم، وأن يتولى القيام بذلك الدعاة المبرزون، ممن يملك العلم والحجة والبيان، وسرعة البديهة، ويعرف أساس الخصم وواقعه؛ ففي المناظرة يجتمع أنصار الخصم والمتأثرون به فيتبين لهم ضلاله، وتضعف فتنة الناس به.

١٣- لا بد أن يقوم أهل الإسلام بتكريس جهودهم لمقاومة المذاهب الفكرية مقاومة علمية عميقة، ونقدها نقدًا مفندًا داعمًا، وأن يقابلوا كل مؤسسة يمثلها مما يعارضها وينقضها، فيقابلوا المدرسة بمدرسة، والجامعة بجامعة، ودور الحضارة والتربية بمثلها، ويقابلوا النوادي الثقافية والرياضية الخالية من الدين بنواد أخرى مشبعة بالدين، ويقابلوا المكتبات المادية بمكتبات تخدم العقيدة الإسلامية، ويقابلوا الصحف المادية والمغرضة بصحف دينية، ويقابلوا الإذاعات المغرضة وسائر الإعلام بإذاعات ووسائل إعلامية أخرى توجه الناس إلى الحق وتضبط عقولهم وأوقاتهم.

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر بن عبد الله أبو زيد، (القاهرة، دار ألفا، ١٤٢٧هـ)، ص ٨٤.

(٢) توصيات بدعم التيارات المعتدلة في المجتمعات والجاليات المسلمة: ملخص تحليلي لتقرير مؤسسة راند (٢٠٠٧)، مؤسسة طابة، (أبو ظبي، مؤسسة طابة، ٢٠٠٧م)، ص ١٣.

- وهكذا فليقابلوا كل وسيلة هدم بوسيلة بناء، ويرخصوا أنفسهم وأموالهم في سبيل ذلك^(١).
- ١٤- غرس عقيدة التوحيد راسخة في قلوب الناشئة، وتحصينهم من الشرك وأسبابه، والتركيز على ذلك في مراحل التعليم العام.
- ١٥- التركيز في مناهج التعليم على الموضوعات المتعلقة بالسمع والطاعة للأحكام الإلهية وعدم الاعتراض على الله ورسوله ﷺ.
- ١٦- أن تستمر مناهجنا ومنابر الكلمة والإعلام بالعناية ببيان المنهج الشرعي في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتوضيح حكم الخروج على الحاكم.
- ١٧- أن نتيقن بأن الله حافظ دينه، ولن يُسلم عباده وأوليائه لأعدائهم، فإن كان الله تعالى قد حفظ قريشاً وهم أهل أوثان؛ لمكانة البيت الحرام، وإغراء لهم على عبادة رب البيت وحده لا شريك له، فحفظه لعباده المؤمنين الموحدين أولى وأقرب، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾^(٢)؛ ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ (١) إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾^(٣). ولا خفاء بالاتصال بين السورتين، «أي إنه تعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل ومنعهم عن بيته وحرمة لانتظام شمل قريش، وهم سكان الحرم وقطان بيت الله، وليؤلفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة أمن ساحتهم»^(٤).

(١) للحق والحقيقة من كلام خير الخليفة، ص ٤٢.

(٢) سورة الفيل.

(٣) سورة قريش.

(٤) البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق د. سعيد بن جمعة الفلاح،

(الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٨هـ)، ص ٢١٨.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

«والله لولا الله حافظ دينه لتهدمت منه قُوى الأركان»^(١).

وقد ثبت في تجارب التاريخ أن الإسلام ما عُودي إلا كان العداء سبباً في قوته. فمنذ «وجد الإسلام، وجدت محاولات احتوائه وإذابته وصهره ومحوه من الوجود، لكن جميع هذه المحاولات، وإن كانت قد نجحت في بعض أجزائها، إلا أنها لم تحصد إلا الفشل على صعيد الهدف المركزي لها»^(٢).

وحفظ الله لهذا الدين سنة جارية، وطريقة ماضية، وأي شيء يحصل للمسلمين من تسلط أعدائهم فهو بسبب تقصير فيهم، ينبغي أن يستدركوه ويعالجوه. فإن فعلوا ذلك سيجعل الله هذه الأحداث والمحن سبباً في عزهم وسؤددهم والتمكين لهم، ويحمدوا نتائج ما قام به العدو من كيد وتدمير جعلهم يستيقظون وإلى ربهم يرجعون.

«قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَيْيُفَصِّرُوهُ فَطَالَا

وَاسْتَجَرُّوا مَكَائِدَ الْحَرْبِ حَتَّى تَزْكُوهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبَالَا

رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفُعَّالَ^(٣) فِيهِ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَا»^(٤).

«فإن تيقنت أن إحداثيات الجيوش الغازية تغيرت، وأدواتها تبدلت، وجنودها السابقين أحيلوا إلى التقاعد؛ فواجب عليك أن تتبع إحداثيات المعركة الجديدة عبر رصد دقيق وقراءة معمقة... [حتى] يمكنك -بعون الله- أن تقف موقفاً يُحمد لك»^(٥).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن العريفي وآخرين، (مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٨هـ)، ١/١٣٠.

(٢) الإسلام والاستشراق، ص ٢٨١.

(٣) «الْفُعَّالُ هم الروم الذين جلبوا مكائيد الحرب، وفعلهم حملهم إليها المكائيد والآلات، وهم غير محمودين، وأفعالهم محمودة في العاقبة؛ لأنهم لو لم يحملوها لما ظفر بها المسلمون». شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق فريدريخ ديتريشي، (برلين، د.ن، ١٨٦١م)، ص ٥٨٤-٥٨٥. وقد جاءت (الْفُعَّال) في ديوان المتنبي بفتح الفاء، وفي شرحه بضمها وهو أقرب للسياق.

(٤) ديوان المتنبي، أحمد بن الحسين المتنبي، (بيروت، دار صادر، ١٤٠٣هـ)، ص ٤١٠.

(٥) عصر الإسلاميين الجدد: رؤية لأبعاد المعركة الفكرية والسياسية في حقبة الثورات العربية، د. وليد بن عبد الله الهويريني، (الأحساء، المؤلف، ١٤٣٤هـ)، ص ١٢-١٣.